

المسائل الخلافية بين الأشعرية والإباضية

دراسة استقرائية تحليلية مقارنة

**Conflicting Issues between Ach'arism and Ibadhism
An Inductive Analytical and Comparative study**نسمة درار¹، د. نورة رجاتي²¹ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، مخبر البحث في الدراسات
العقدية ومقارنة الأديان، n.derrar@univ-emir.dz² جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، مخبر البحث في الدراسات
العقدية ومقارنة الأديان، benchanora@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/07 تاريخ القبول: 2022/11/11 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تتحدث هذه الدراسة عن الاختلاف العقدي؛ فشأنه شأن الاختلاف الفقهي، وكان النموذج المختار لذلك؛ المسائل الخلافية بين الأشعرية والإباضية؛ من خلال الوقوف على المبادئ والأصول العقدية لكل من المذهبين الأشعري والإباضي؛ ومدى اتفاقهما واختلافهما. وقد تم التوصل من خلال هذه الدراسة إلى أن الاختلاف الذي بين الأشعرية والإباضية؛ كان في الفروع، وهو اختلاف أقرب إلى التنوع من التضاد. الكلمات المفتاحية: المسائل الخلافية؛ الأشعرية؛ الإباضية.

Abstract:

This study talk about differences of faith ; is the same as difference in the branches of Islamique Fikh; and it was the chosen model for that ; Conflicting Issues between Ach'arism and Ibadhism, through examining the principles and creedal origins of Alachari ideology and Ibadhism ideology, and the extent of their agreement and disagreement.

It was found through this study ; that the defference between Ach'arism and Ibadhism he was in the branches ; and he is closer to diversity than antagonism.

Keywords: Conflicting Issues; Ash'arism; Ibadhism.

1. مقدمة :

لا يخفى مدى الأهمية الكبيرة التي تحظى بها دراسة قضايا العقيدة، والبحث فيها، وتحقيق مسائلها، مما أدى إلى اختلاف الناس في فهم بعض المسائل العقدية، وهو اختلاف قديم له أبعاد فكرية وسياسية؛ حيث وقع الخلاف في تفسير آيات وأحاديث الأسماء والصفات، وفي القدر، ومسائل الوعد والوعيد.

وفي هذه الدراسة سلطنا الضوء على مذهبي الأشعرية والإباضية كنموذج للاختلاف في فهم قضايا العقيدة، من خلال أصولهما العقدية، ومدى تباين آرائهما، ومعرفة ما إذا كان هذا التباين الناشئ عن اختلافهم في فهم النصوص، يتجاوز مقاصد الشارع الأصلية من الخطاب العقدي، وهو ما يستدعي طرح إشكالية البحث: ما هي حقيقة الخلافات بين الأشعرية والإباضية؟

وعلى هذا الأساس جاءت فكرة الدراسة بعنوان: "المسائل الخلافية بين الأشعرية والإباضية - دراسة استقرائية تحليلية مقارنة".

ويندرج ضمن هذا التساؤل المحوري تساؤلات فرعية تحسُن الإجابة عليها:

- ما هي أوجه الاختلاف بين الأشعرية والإباضية؟
- ما هي الأدلة المعتمدة لكل من المذهبين في المسائل المختلف فيها؟

أهداف البحث:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى:

- بيان مدى الاختلاف في العقيدة بين الأشعرية والإباضية؟ وهل هو في الأصول أم في الفروع؟
- إبراز أهم القضايا التي وقع فيها الاختلاف بين المذهبين الأشعري والإباضي.
- معرفة الأدلة المعتمدة لكل من المذهبين الأشعري والإباضي في المسائل المعتمدة.

منهج البحث:

لمقاربة إشكالية الدراسة تم اعتماد المنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي في تتبع القضايا الخلافية في المسائل العقدية؛ مُردِّقَين بآلية المقارنة في عرض الأفكار ومناقشتها.

2. تعريف وترجمة:

1-2 التعريف بالأشعرية:

نسبة إلى مؤسسها علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر ابن موسى الأشعري في الاعتقاد، وكنيته أبو الحسن؛ كما قال الشهرستاني: "الأشعرية أصحاب أبي الحسن¹ علي بن إسماعيل الأشعري".

ترجم له الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: "العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار اليماني البصري²"، ولد سنة ستين ومائتين (260هـ)، وقيل بل ولد سنة سبعين ومائتين، سكن بغداد وتوفي فيها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (324هـ) على ما رجح من الأقوال.

وقال فيه الذهبي: كان عجباً في الذكاء، وقوة في الفهم، وقال أيضاً: ولأبي الحسن ذكاء مفرط وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم، وقال ابن الباقلاني: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري، تعلم أبو الحسن الأشعري على يد أبي خليفة الجُمحيّ، وأبي علي الجبائي، وزكريا الساجي وسهل بن نوح، وطبقتهم، وكان شيخه من المعتزلة الأقرب إليه هو الجبائي؛ زوج أمه وشيخ المعتزلة في عصره، فأخذ عنه على مدار أربعين سنة ثم شاء الله له الهداية وتاب عليه، فقلب على المعتزلة، فبعد أن كان لهم ناصرًا أصبح عليهم حرباً.

قال أبو بكر الصيرفي: كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسّم²، فبعد أن أفنى الأشعري شوطاً كبيراً من عمره في الاعتزال، ولما تعمق في معرفته، تبرأ منه وتركه، وذات يوم صعد المنبر، وأمام المأأ أعلن توبته منه، وقال قولته الشهيرة:

¹ الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1387هـ-1968م، ج1، ص94.

² لخص هذه الترجمة، عمر سليمان عبد الله الأشقر، في كتابه "معتقد أبي الحسن الأشعري ومنهجه"، دار النفائس للنشر والتوزيع، ص 16-13، سير أعلام النبلاء، ج15، ص85-90، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط1، 1417هـ-1997م، ج11، ص346-347، ابن عساكر، تبیین كذب المفتري، ص34-35-36-37-56، السمعاني، الأنساب، حققه: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني، ط2، 1400هـ-1980م، ج1، ص273-274.

"أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أَعرفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم، وأخذ يرد على المعتزلة ويبطل كلامهم، ويكشف زيفهم"¹.

له كتب كثيرة أهمها: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، جواز رؤية الله بالأبصار، الرد على المجسمة والحشوية، اللمع في الرد إلى أهل الزيغ والبدع، الإبانة عن أصول الديانة²، فظهور العالم الجليل أبو الحسن الأشعري الذي كان أول أمره على المذهب الاعتزالي والذي كان فيه علما من أعلامه؛ كان لما رأى من جنوح للمعتزلة في الاعتماد على العقل.

2.2 التعريف بالإباضية:

ترجع أصول مذهب الإباضية إلى زمن انشقاق المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وخاصة بعد معركة صفين حين فارق الخوارج جيش الإمام علي (رضي الله عنه) استنكارا لقبوله مبدأ (التحكيم)³، "ونشأة الفكر الإباضي، يعود بالدرجة الأولى إلى العامل الديني والسياسي الذي تمثل في مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي - الخارجي - من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين أنكروا التحكيم على علي (كرم الله وجهه)"⁴.

ظهر المذهب الإباضي في القرن الأول هجري (1هـ)، وهو من أسبق المذاهب الإسلامية ظهورا، مقارنة مع المذاهب الأخرى (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) التي ظهرت بعد القرن الثاني هجري (2هـ)، ولم يكن لهذه المذاهب انتشار إلا بعد المئتين، حين تولت الملوك الذين ينتسبون إليهم فنصروهم وأيدوا مذهبهم⁵، ظهرت مع جابر بن زيد الأزدي، والذي تؤثر الإباضية نسبة فرقتهم إليه بدلا من عبد الله بن أباض وفي ذلك يقول الشماخي (ت928هـ): "ومتهم جابر بن زيد الأزدي رحمه الله، بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه"⁶.

¹ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، ج15، ص85-86، ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، المجلد الثالث، ص284-286، الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، 1/94-103، ابن كثير، البداية والنهاية، 11/187.

² الحسين عبد القادر محمد، إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري، دار المشرق للكتاب، ط1، 2010م، ص80-89.

³ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ج1، ص280.

⁴ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، القاهرة، مكتبة وهبة، 1988م، ط3، ص14.

⁵ -قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان بن محمد الشماخي العامري، رسالة القول المتين في الرد على المخالفين، ط1، مصر، مطبعة مجلة المنار الإسلامية، 1324هـ، ص13-14.

⁶ الشماخي، كتاب السير، تحقيق: أ. السيابي، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 1992م، ج1، ص67.

والإمام جابر بن زيد هو المحدث الفقيه الذي كان من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعدد كبير من الصحابة ممن شهد بدرا، فقد كان إماما في التفسير والحديث، وكون مذهب خاص به في الفقه وُلد سنة إحدى وعشرين للهجرة وتوفي بالبصرة سنة ثلاث وتسعين من الهجرة¹.

أجمعت كتب الفرق على أن الإباضية هي إحدى فرق الخوارج، بحيث يعرف الشهرستاني كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسَمَّى خارجيا، وبذلك يُدرج الإباضية من كبار فرق الخوارج²، في حين نجد أن المصادر الإباضية تنفي ذلك ومنهم الكاتب علي يحيى معمر بقوله: "الإباضية ليسوا من الخوارج، وأن المذهب الإباضي نشأ مذهبا إسلاميا كما نشأ غيره من المذاهب الإسلامية بأئمتة وعلمائه³، "ويبرئ الإباضية أنفسهم من تسميتهم بالخوارج ويقولون نحن إباضية كالشافعية والحنفية والمالكية، وأنهم رُموا بهذا اللقب لأنهم رَفَضُوا القرشية، أي التزام كون الإمام من قريش"⁴.

فالإباضية هي الفرقة المعتدلة من الخوارج، ظهرت في أواخر الدولة الأموية، وهي تؤمن بالقرآن والحديث مصدرا للتشريع مع القول بالرأي وبالقياس، واعتبرت أبا بكر وعمر قدوة بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم⁵، وتنسب إلى عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة رهط الأنحف بن قيس التيمي، وهو من طبقة التابعين عاصر معاوية بن أبي سفيان (40-61هـ) وأدرك عبد الملك بن مروان، فنسبة الإباضية إلى عبد الله بن أباض من الأمور التي لا يختلف عليها الإباضيون ولا غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى باستثناء قلة قليلة من المؤرخين لا يعتد بها⁶.

¹ أ. فريدة بوتمجت، التواصل العقدي بين الإباضية والأشعرية وأثاره الفكرية والاجتماعية، مجلة الدراسات الإسلامية، جاني 2016م، دورية محكمة، جامعة الأغواط، عدد 6، ص 497 - 498.

² أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تج: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود، ج 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993م، ص 132.

³ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتابات المقالات في القديم والحديث، غرداية، مكتبة الضامري، 1987م، ص 406-407.

⁴ مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط 8، الدار المصرية اللبنانية، 1989م، ص 135.

⁵ عياش عدنان، جذور الإباضية في بلاد المغرب، مجلة اتحاد الجامعات العربية، 2007م، مج 4، ع (02)، ص 253.

⁶ -حسن مهدي محمد، الإباضية نشأتها وعقائدها، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011م، ص 56-57.

وهذا ما ذهب إليه سالم الحارثي في قوله: "الإباضيون منسوبون إلى إمامهم في الدين عبد الله بن أباض، وهو الذي فارق جميع الفرق الضالة عن الحق... وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقاداتهم بالحجج القاهرة والآيات المحكمات"¹، ولعل ما ورد في رواية ابن حزم (ت456هـ-1064م) ما يؤكد ذلك حيث يقول الأندلسي: "منهم عبد الله بن أباض الخارجي رئيس الإباضية"².

وقد نسب بعض العلماء الإباضيين إلى ابن أباض دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر ابن زيد العماني، الذي يعتبر إمام أهل الدعوة ومؤسس فقههم ومذهبهم وكان عبد الله بن أباض يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد³. غير أن الدكتور يوسف الطريف يرى خلاف ذلك يقول: "ولقد اطلعت على أكثر من عشرين كتابا من كتب التراجم والطبقات المشهورة القديمة؛ فلم أجد من ذكر عن أبي الشعثاء جابر بن زيد رحمه الله ما يشير إلى انتسابه إلى الإباضية، ولم يُذكر عنه جملة واحدة توافق مذهبهم، لكن كتب الإباضية تعج بذكر أبي الشعثاء وتجعله إمام المذهب، وهذا أمر عجيب إذ كيف يكون إمام المذهب، ولم يذكر عنه عبارة واحدة تدل على تبنيه لشيء من أفكار المذهب؟ بل الروايات عنه تدل على خلاف ذلك، فقد قيل له: "إن الإباضية يزعمون أنك منهم قال: أبرأ إلى الله منهم" وقد قيل له في مرض موته، وفي رواية أن الحسن البصري جاءه في مرضه قبيل وفاته فقال له: "إن الإباضية تتولاك قال أبرأ إلى الله منهم. قال الحسن فما تقول في أهل النهر؟ قال أبرأ إلى الله منهم"⁴.

يقول الأستاذ عمار طالبي: إمام الإباضية الأول هو أحد كبار التابعين جابر بن زيد الأزدي وما عبد الله بن أباض إلا مجتهد في المذهب الإباضي ومدافع عنه لذا فإن مؤرخي الإباضية لم ينصب اهتمامهم على شخصية عبد الله بن أباض بقدر ما اهتموا بجابر بن زيد... أما الإباضية فقد كانوا يسمون أنفسهم أهل الدعوة⁵.

¹ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، عمان: وزارة التراث والثقافة، ط2، 1438هـ-2017م، ص131.

² أبي محمد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تخ: ع. هارون، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1982م، ج2، ص218.

³ د. عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط3، 1994م، ص9.

⁴ د. يوسف بن علي بن عبد الله الطريف، عقيدة نفي الرؤية عند الإباضية ... دراسة نقدية، مجلة الدراسات العربي كلية دار العلوم - جامعة المنيا، ص557.

⁵ يحيى علي معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص9.

ولم يعرفوا بالإباضية إلا بعد موت (جابر) بزمان وقد خلطوا بين الإباضية والأزارقة والنجدية، فالإباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفيرية ومن هنا نحوهم إلا إنكار الحكومة بين علي ومعاوية، أما استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد والحكم بكفرهم كفر شرك فقد انفرد به الأزارقة والصفيرية والنجدية ويكاد يتفق مؤرخ الإباضية المعاصر علي يحيى معمر على ما ورد في تحفة الأعيان لفظاً ومعنى ويقول: فالإباضية أبعد الناس عن الخوارج وأشدّهم عليهم ولعل من أعظم ما يؤخذ به الإباضية فرق الخوارج، المختلفة هو استحلالهم لأموال المسلمين ودمائهم، ويضاف إلى ذلك أن الإباضية أقرب الفرق إلى أهل السنة من السلفية والأشاعرة والمعتزلة وإلى الزيدية من الشيعة¹.

هذا وهناك اختلاف في التلفظ بهمزة "أَباض"؛ ففي بعض البلدان مثل عمان على حد ما روى السمائي² يفتحون همزة "أَباض" وعلى ذلك تصبح التسمية والنسبة "الأباضية"، أما في شمال أفريقيا فيكسرون همزة كلمة إباض وعليه فتصبح النسبة إليها "الإباضية".

3. الأصول العقدية والمنهجية للأشعرية والإباضية:

1.3 التوحيد:

عند الأشاعرة: ذكر الأشاعرة تعريفين للتوحيد وهما:

الأول: إثبات الوحدة في الذات والصفات والأفعال، فوحدانية الذات تنفي تركيب الذات وتنفي تعددها، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله من جنس واحد، وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته، ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد³.

الثاني: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالا"⁴. لذلك كان الإيمان عند الأشعري هو التصديق القلبي، وهو اعتقاد المعتقد صدق من يؤمن به وكان أول الواجبات عند الأشعري هو معرفة الله تعالى⁵ من حيث وجوب وجوده

¹ عمار طالي، آراء الخوارج الكلامية، ج 1 الموجز لأبي عمار عبد الكافي، ص 202.

² سالم بن حمود السمائي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، نشر وزارة التراث القومي بسلطنة عمان طبع سجل العرب بالقاهرة، 1400 هـ-1980 م، ص 35.

³ تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد، ص 59-60.

⁴ تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد، ص 10.

⁵ أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، الأشاعرة، دار النهضة العربية، ج 11، ص 18.

وجوده ووحدانيته وسائر صفاته من نحو العلم والقدرة والإرادة وجميع الأحكام المتعلقة به عز وجل وكذلك صانعيته تعالى للعالم؟¹

أما عند الإباضية: فكلمة التوحيد عندهم هي أن تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند الله، وإنكارها بالضرورة شرك، القرآن كلام الله نقل إلينا بالتواتر وإنكار شيء منه شرك.²

تؤكد الإباضية على أن معرفة التوحيد من الأمور التي لا يجوز أن يجهلها الإنسان وقالوا: "في الجملة أي -جملة التوحيد- التي لا يسع تركها وهي التي يدعو إليها رسول الله ﷺ وتدعو الأئمة إليها بعده أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند ربه، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب والعقاب والجنة والنار وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فهذا ما لا يسع جهله وهذا هو المشهور عند أكثر أصحابنا، ومنهم من يزيد الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه من الله تعالى، ومنهم من يزيد تحريم دماء المسلمين ويوجب الإيمان به في العقيدة، ومن أصحابنا من يقتصر على التلفظ بالشهادة بثلاث كلمات والاعتقاد لها لا غير: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وما جاء به حق، وهي طريقة الإمام عبد الرحمن بن رستم".³

يُعبّر الإباضية عن التوحيد بمصطلح "جملة التوحيد" نظرا لتعبيرها عن كليات الإيمان، حيث تندرج تحتها مدلولات جزئياته⁴، فعندما ترد كلمة "الجملة" في مؤلفات عقائد الإباضية، فإنما يُقصد بها الشهادات الثلاث، وما دامت هذه الجملة معيارا بين الشرك والتوحيد⁵، فهي أول ما يجب اعتقاده على الإنسان، وإذا وصل حد التكليف ولم يعتقد بها أصبح من الهالكين والعياذ بالله⁶.

¹ د. عبد الحميد علي عز العرب، كتاب علم التوحيد عند خالص المتكلمين، دار المعارج، ط1، 1987م، ص95.

² علي بن يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، نج: أحمد بن سعود السيابي، ط3، ص28.

³ نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالي، بهجة الأنوار، المتوفى 1332هـ، تحقيق: علي بن سعيد بن مسعود الغافري، رسالة ماجستير، ص110.

⁴ صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهب، بيروت: دار الجبل، 1986م، ص88.

⁵ د. مسلم بن سالم الوهبي، الفكر العقدي عند الإباضية، ص231.

⁶ بن صالح بن إدريس مصطفى بن محمد، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث، 2003م، ص231.

وجاء في كتاب عقيدة التوحيد لابن جميع الإباضي (ت340هـ) أن "أقسام التوحيد على وجهين: قول وعمل، لا يسع جهل التوحيد ولا تركه، ولا يسع جهل الشرك ولا فعله"¹. والكفر في اعتقادهم على وجهين: كفر نفاق (أي الخروج عن الطاعة) وكفر شرك²، فتوحيد الله وتنزيهه ومعرفته هي أول الواجبات؛ وهي ثابتة بالشرع عند كل من الأشعرية والإباضية.

2.3. صفات الله تعالى:

الأشاعرة يثبتون لله سبع صفات، يسمونها: صفات المعاني، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، ويؤولون بقية الصفات³؛ وفي القول بزيادة الصفات على الذات، عدّ الأشعري صفات المعاني كالعلم والقدرة والإرادة، صفات زائدة على الذات وليست هي عين الذات بل إن الإمام الأشعري يرى استحالة أن تكون هي عين الذات. ومما يدل على أن الله تعالى عالم بعلم، أنه لا يخلو أن يكون الله عالماً بنفسه، أو بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه، فإن كان عالماً بنفسه كانت نفسه علماً، لأن قائلاً لو قال: "إن الله تعالى عالم بمعنى هو غيره" لوجب أن يكون ذلك المعنى علماً، ويستحيل أن يكون العلم عالماً، أو العالم علماً⁴.

والأشاعرة مختلفون في تأويل الصفات الخيرية؛ فمتقدموهم كالأشعري، والباقلاني يثبتون الصفات الذاتية؛ كصفة الوجه، والعينين، واليدين، ويؤولون بعض الصفات الفعلية كالمحبة، والرضا، والغضب، والسخط، قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم وإرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأن غضبه إرادته لعذابهم، وأنه لا يقوم غضبه شيء"⁵، وقال الباقلاني:

¹ أبو حفص ابن جميع، عقيدة التوحيد، تح: ع. بازين، غرداية: المطبعة العربية، ط 3، 2003م، ص 48.

² المصدر نفسه، ص 46.

³ أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقدة، مختصر معارج القبول، الرياض - السعودية، مكتبة الكوثر، ط 5، 1418هـ، ص 76، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر - جمادى الآخرة، 1404هـ-1984م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، ص 77-90، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة-مصر، دار الفكر العربي، ص 156-159.

⁴ الأشعري، اللمع، ص 14-22-23، الأشعري، الإبانة، القاهرة-دار الكتاب، ط 2، 1987م، ص 141-144.

⁵ د. محمد السيد الجليند، أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر، جامعة الأزهر نشر كليات دار العلوم، ص 240.

"فإن قيل: قد أثبتتم أنه حي، عالم، قادر، سميع، بصير، متكلم، أفقولون يغضب ويرضى ويحب ويبغض ويوالي ويعادي وأنه موصوف بذلك، قيل لهم: أجل ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عن رضي عنه، وحبه لمن أحب، وبغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، وعداوته لمن عادى، أن المراد بجميع ذلك إرادته إثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه، وعقوبته من غضب عليه وأبغضه وعاداه، لا غير"¹.

وإذا تعارضت القواطع العقلية مع ظواهر النصوص المفيدة للظن وهو المسمى بالمعارض العقلي عند الأشاعرة، فإنه يجب عند جمهورهم الأخذ به وتأويل ما يناقضه من ظواهر النصوص، فكل ما قضى العقل باستحالة يجب تأويل النصوص التي ظاهرها ثبوته أو جوازه، مع العلم بأنه لا يتصور أن يرد في السمع أمر قطعي مخالف لقواطع العقول²، فقد سلك الأشاعرة في الاستدلال على العقائد مسلك العقل والنقل معاً، مع صدارة جانب النقل؛ فحين يتطلب النص التأويل لفهمه، وجب ذلك عند الأشاعرة، فدور العقل أن يؤيد ما جاء به السمع.

أما عقيدة الإباضية: فالأصل العام فيها هو التنزيه المطلق للباري³ وكل ما أوهم التشبيه من الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث النبوية الثابتة يجب تأويله بما يناسب المقام ولا تؤدي إلى التشبيه⁴؛ فحقيقة المعرفة به سبحانه أن تعلم أن الأشياء لا تشبهه ولا يشبهها في جميع الجهات في فعل ولا اسم ولا صفة ولا ذات ... وينفي عنه شبه الأشياء من جميع الجهات فثبت بدليل الشرع وشاهد العقل أن الله لا يشبه شيء من الأشياء في اسم ولا صفة ولا ذات ولا فعل⁵ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥١﴾ [الشورى: 11].

¹ أبو بكر بن الطيب البصري الباقلائي، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تح: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1986 م، ص 61.

² الجرجاني، شرح المواقف، 53/2، 54.

³ علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، تق: أحمد بن سعود السبياني، ط 3، ص 27.

⁴ المرجع نفسه، ص 28.

⁵ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، القاهرة: دار التضامن للطباعة، ط 3، 1988 م، ص 38-40.

يقول الدكتور مسلم سالم الوهبي: خصص الإمام الربيع¹ في كتابه العقيدة اثنتين وستين رواية عن الرسول ﷺ وأثرا من آثار الصحابة رضوان الله عليهم وهذا الرصيد من الروايات والآثار -المستنبطة في معظمها من القرآن الكريم -أصبحت منطلقا للإباضية في فهمهم لصفات الله تعالى، ويقسم الإباضية صفات الله تعالى إلى ثلاثة أنواع:

- صفات واجبة في حق الله تعالى وهي الصفات التي يترتب على ثباتها كمال وعلى عدمها نقص ومحال، كالسمع والقدرة والبصر...
- صفات مستحيلة على الله تعالى وهي الصفات التي يترتب على ثباتها نقص وعلى نفيها عنه كمال، كالموت والصمم والعمى...
- صفات جائزة على الله تعالى: وهي الصفات التي لا يترتب على ثباتها أو نفيها كمال أو نقص، كالرزق مثلا، فتضييق الرزق على فلان لا يعتبر نقيضه في حق الله تبارك وتعالى فقدير يرزق فلانا ولا يرزق آخر... ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]².

ويرى الإباضية أن صفات الله هي جوهره أي - عين ذاته - بمعنى أن الله عز وجل غني بذاته سميع بذاته حي بذاته أي أن صفات الله معان اعتبارية لا وجود لها في الخارج وقالوا: "إن صفات الله هي عين ذاته، والله قادر بذاته -أي أن ذاته كافية في التأثير في جميع المقدورات فصفات الله عز وجل هي عين ذاته لأن الله قديم، وصفة القديم مثله في القدم، فإذا كان شيء غيره كان هناك قديمان أو أكثر، وهو تصور يتنافى مع أصل التوحيد، ولا يجوز اعتبار الصفات مستقلة محدثة إذ يصبح الله تعالى محتاجا إلى أعراض وأجزاء ويغدو مركبا، وهذا يتنافى مع وحدانية الله³.

¹ إمام داعية، محدث، الإمام الثالث بعد جابر وأبي عبيدة هو العلامة الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العماني، ولد بغضفان إحدى قرى الباطنة حواي سنة 75هـ، تتلمذ على الإمام جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وصالح الدهان، من أهم مؤلفاته: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب (عمدة الإباضية في السنة) توفي سنة 170هـ، (الشماعي، السير، ج1، ص95، الوهبي، الفكر العقدي عند الإباضية، ص119-125).

² بن إدريسو مصطفى بن محمد بن صالح، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث. 2003م، ص233.

³ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، القاهرة، دار التضامن، ط3، 1988م، ص47.

يقول السالحي: "من اعتقد تنزيه الله تعالى عن مشابهة الأشياء لزمه تأويل ما أوهم التشبيه من الآيات والسنة سواء صرح به أو لم يصرح به"¹، "فأولوا الكلمات الموهمة للتشبيه بما يؤدي المعنى ولا ينفي كمال الله، فقالوا عن العين أنها العلم والحفظ، وقالوا عن اليد أنها النعمة والقدرة، وهكذا في جميع ما ورد في القرآن أو السنة النبوية الثابتة"²، فتأكد لهم وتأويلهم أن صفات الله هي جوهره، هي كذلك في رأيهم؛ لأن تعدد الصفات عن الذات ينافي التوحيد الواجب إثباته لله تعالى، فهي ذات واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه. وعن تفريق الإباضية بين صفات الذات وصفات الفعل، نقل الشيخ الخليلي الخلاف بين إباضية المشرق والمغرب في هذا الموضوع، فما ذكر من قول يخص إباضية المشرق، غير أن أهل المغرب يرون أن صفات الفعل أيضا أزلية، فالله عز وجل خالق في الأزل بمعنى أنه سيخلق ورازق بمعنى أنه سيرزق، ومحبي بمعنى أنه سيحيي، ومميت باعتباره سيُميت، ... واعتبر الخليلي هذا الخلاف لفظيا اعتباريا³، فصفات الله عند إباضية المغرب هي كما أثبتها الله عز وجل لنفسه، فرؤيتهم للأسماء والصفات أقل تأويلا مما عليه إباضية المشرق؛ وهم في هذا يحذون حذو المعتزلة.

3.3. الإيمان:

الإيمان عند الأشعري هو التصديق بالله فقط، ولهذا يرى أن الفاسق من أهل القبلة مؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه وكبيرته، ولا يجوز أن نقول إنه لا مؤمن ولا كافر كما ذهب المعتزلة، لأنه لو كان الفاسق لا مؤمنا ولا كافرا، لم يكن منه كفر ولا إيمان، ولكان لا موحدا أو ملحدا ولا وليا ولا عدوا، فلما استحال فإذا كان الفاسق مؤمنا قبل فسقه، بتوحيده، فحدوث الزنا بعد التوحيد لا يبطل اسم الإيمان، الذي لم يفارقه⁴. ويرى عبد القاهر البغدادي أن الأشاعرة اختلفوا في الإيمان على ثلاثة مذاهب:

قال أبو الحسن الأشعري: إن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحا إلا بمعرفته والكفر عنده وهو التكذيب.

¹ السالحي، مشارق أنوار العقل، ط1، 1989 م، ج2، ص83.

² علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ب. الشيخ، غرداية: جمعية التراث، د. ت، ص439.

³ أحمد الخليلي، برهان الحق، ج2، ص25-26.

⁴ الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدمه: حموده غرابة، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، 1955 م، ص123-124.

عبد الله بن سعيد: ذهب إلى أن الإيمان هو الإقرار بالله عز وجل وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب، فإن خلا الإقرار عن المعرفة بصحته لم يكن إيماناً. وقال الباقر: من أصحاب الحديث: أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها وهو على ثلاثة أقسام: قسم منه يخرج صاحبه من الكفر ويتخلص به من الخلود في النار وهو معرفة الله تعالى، وقسم منه يوجب العدالة وزوال اسم الفسق عن صاحبه ويتخلص به من دخول النار وهو أداء الفرائض واجتناب الكبائر، وقسم منه وجب كون صاحبه من السابقين الذين يدخلون الجنة بلا حساب وهو أداء الفرائض والنوافل مع اجتناب الذنوب كلها¹.

ويقول الإمام الأشعري في كتاب الإبانة: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ويقول أيضاً في رسالة أهل الثغر: وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية². وبناء على ما سبق يتضح أن الإمام الأشعري يرى أن الإيمان مستقل عن الأعمال ولا تأثير لها فيه؛ فالإيمان عنده هو مطلق التصديق.

أما الإباضية فالإيمان عندهم هو جميع ما أمر الله به عبادته، وتعبدتهم به من فعل جميع ما أفترض عليهم من الفرائض وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فكل ذلك إيمان لله ودين له وإسلام وكله إيمان وبعضه إيمان ما كان من ذلك توحيداً لله وما كان منه من غير توحيد فمن استكمل ذلك سعي مؤمناً ومن لم يستكمل ذلك واقتصر على فعل التوحيد دون فعل الفرائض وترك المعاصي، بطل أن يسمى مؤمناً³.

جاء في الجامع الصحيح في الحجة على من قال: أن الإيمان قول بلا عمل، قال الربيع بن حبيب بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لَعَنَ اللَّهُ الْمُرَجَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا قَبْلِي، قِيلَ: وما المرجئة يا رسول الله؟ قَالَ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْإِيمَانَ قَوْلَ بِلَا عَمَلٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ - يَقُولُ الرَّبِّيعُ - فَقَدْ كَفَرَ بِمَقَالَتِهِ"⁴.

¹ الإمام أبي منصور عبد القاهر بن ظاهر التيمي البغدادي، أصول الدين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص 249.

² أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر، تحقيق: د. محمد السيد الجليلند، جامعة الأزهر نشر كليات دار العلوم، ص 93.

³ جميل السعدي، قاموس الشريعة الحاوي لطرقها الوسيعة التراث القومي والثقافة، عمان، 1983 م، ج 6، ص 40.

⁴ (الترمذي 2149)، الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، ج 3، ص 201-202.

ويقول الإباضية: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها¹، فالإيمان في نظر الإباضية هو المعرفة والاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح؛ فهو قائم على هذه الأركان، وإذا اختل واحد من هذه الأركان اختل الباقي.

4.3. رؤية الله تعالى:

قرر الأشاعرة أنه سبحانه يُرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف، تماما مثل ما يرانا هو سبحانه وتعالى غير محدود ولا مكيف، فكذلك يراه المؤمنون وهو غير محدود ولا مكيف، فهم مؤمنون برؤية الله تعالى يوم القيامة، بل يعتبرونها من أعظم اللذات وأعلى الدرجات لذلك عمدوا إلى حشد كل الأدلة التي من شأنها إثبات الرؤية ودحض مذهب النفاة خصوصا خصومهم المعتزلة الذين أنكروها معتمدين في ذلك على قياس الغائب على الشاهد، فشروط الرؤية عندهم لا تختلف شاهدا وغائبا وهي (الوسط الشفاف - الضوء - كون المرئي في جهة معينة) وبالتالي أنكروها لما تفضي إليه من التجسيم والتشبيه في حق الإله. ومن ذلك تفسير الأخفش المعتزلي (ت: 215) لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23] قال: "يعني -والله أعلم بالنظر إلى الله: إلى ما يأتيهم من نعمه ورزقه، وقد تقول: والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك، أي أنتظر ما عند الله، وما عندك"²، فرؤية الله تعالى في نظر الأشعرية ثابت جوازها.

أما الإباضية فلم يختلفوا عن المعتزلة في مفهومهم لرؤية الله عز وجل، فيما أنهم ساءروا المعتزلة في قولهم بنفي الصفات أو السعي في تنزيه الله بصورة نفت الصفات عن الله، فكان من الطبيعي أن يكون فكرهم في رؤية الله موافقا أو مأخوذا من المعتزلة، فهم يقولون بعدم وجوب رؤية الله عز وجل، ويتأولون الآيات التي تنص على رؤية المولى عز وجل³، يقول أحمد الخليلي: "وذهب إلى استحالتها -أي الرؤية - في الدنيا والآخرة أصحابنا -الإباضية -

¹ الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تج: م. الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، 1990م، ص189.

² أ. موفق عبد الرحيم، معالم وسطية الفكر العقدي بالغرب الإسلامي -ابن خمير السبتي نموذجاً-، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس -المملكة المغربية، ص22-23.

³ د. إيمان محمد محمد عمران، الأصول الفكرية للمذهب الإباضي التأسيس السياسي والرؤية الكلامية، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية)، يوليو 2021م، مج13، ع2، ص1644.

وهو قول المعتزلة والجهمية والزيدية والإمامية من الشيعة، وبه قال جماعة من المتكلمين المتحررين من أسر التقليد".¹

قال فقيه الإباضية في زمانه أبو المؤثر الصلت بن خميس العماني (توفي نهاية القرن الثالث) - في مسرد عقائد الإباضية-: "... وأنه لا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة"² وقال أبو عامر الشماخي (ت 792هـ): "وندين بأن الله ليس كمثل شيء في صفته وفي ذاته؛ وندين بأنه لا يرى في الدنيا وفي الآخرة"³ "فليس لأحد من الخلق أن ينظر إليه جهرة لا في الدنيا ولا في الآخرة"⁴.

ويقول صاحب العقود الفضية نافيا رؤية الله تعالى: "فالإباضية يمنعون ذلك، أي الرؤية، والحجة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] والإدراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير، فنفي ذلك عن نفسه...؛ ولأنه يلزم من يقول بالرؤية إثبات الجهة واللون لله تعالى، وهو باطل"⁵.

ويشدد السالمي على أن من لم يُظهر التأويل فيما خالف فيه عقيدة الإباضية في نفي الرؤية وغيرها؛ فيقول بأنه: "كافر كفر شرك، لا يناكح ولا يوارث"⁶، فاعتقاد الإباضية نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا والآخرة، وأنه محال شرعا وعقلا، وتأكيدهم لذلك لأن القول بالرؤية في نظرهم يهدم التوحيد.

¹ أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، سلطنة عمان، 1409هـ، ص32.

² سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس البهلوي؛ مطبوع ضمن كتاب (السير والجوابات) لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل، مسقط: وزارة التراث، ج2، 272.

³ تبغورين بن داود الملشوطي، متن صغير مطبوع ضمن كتاب أصول الدين أو الأصول العشرة للإباضية، تحقيق: ونيس عامر، تونس، 2002م، ص15.

⁴ خميس بن سعيد الشقصي الرستاق، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم الحارثي، عمان: وزارة التراث، ط2، 1413هـ، 409/1.

⁵ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، سلطنة عمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط2، 1438هـ-2017م، ص287.

⁶ بهجة الأنوار، ص125.

5.3. خلق القرآن:

الأشعرية يثبتون أن الله سبحانه وتعالى متكلم وله كلام، والدليل على ذلك إرساله للرسول وتكليف العباد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وهذا دليل على أنه أمر ناه وأن له كلاماً وعدم الكلام معناه الخرس والسكوت وهي نقائص يتزده الله تعالى عنها¹، يرفض الأشعري فكرة أن يكون القرآن مخلوقاً، فيذهب إلى أن القرآن هو كلام الله القديم وليس بمخلوق². وهو ليس بمخلوق لأن الكلام صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، وهي تتضمن أمراً ونهياً وكل ذلك في القرآن واحتج بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40].

ومذهب الأشعري في هذه المسألة "أن القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع، فأما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات"³؛ وتفسير ذلك أن الكلام مستويان: أحدهما أسماء الكلام النفسي وهو صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى، وثانيهما ما هو تعبير عن تلك الصفة وهو كلام الله تعالى الذي أنزله على رسوله كالتوراة والإنجيل والقرآن وهذا المستوى هو المخلوق، يقول ابن عساكر: "... قالت المعتزلة كلام الله مخلوق مبتدع وقالت الحشوية والمجسمة الحروف المقطعة قديمة فسلك الأشعري طريقاً بينهما وقال القرآن كلام الله قديم غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع أما الحروف والأصوات والمعدودات فمخلوق مبتدع"⁴.

فكلام الله عز وجل عند الأشعري ومنه القرآن الكريم حقيقته عبارة عن الكلام النفسي، ومن ثم ذهب إلى أن الألفاظ والعبارات مخلوقة وليست بقديمة، وأن ما يكون قديماً وليس بمخلوق هو الكلام النفسي⁵.

¹ محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، ص 124.

² الأشعري، الإبانة، القاهرة، دار الكتاب، ط 2، 1987م، ص 63.

³ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج 1، ص 167.

⁴ ابن عساكر، تبیین كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، نشر كليات دار الكتب العربي، 1979م، ص 150-151.

⁵ حسين معتوق، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 2، ص 159.

أما الإباضية، فيختلفون فيما بينهم، فإباضية المغرب يذهبون إلى أن القرآن مخلوق، وإباضية المشرق يقولون بأن القرآن قديم، وغير مخلوق¹.

ومن إباضية المغرب القائلين بخلق القرآن كأبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت 750هـ/1075م)، وأبي عمار عبد الكافي (ت قبل 570هـ/1075م) والذي وصف القرآن بقوله: "شيء من الأشياء، ولأنه كائن بعد أن لم يكن ودال على وحدانية الله ووجوده كسائر الأشياء الدالة عليه، وعلى ذلك فهو مخلوق محدث"².

وقول الإباضية بأن القرآن مخلوق، كان دليلهم على ذلك أن الله خالق كل شيء، والقرآن شيء من الأشياء ويستدلون بأشياء منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝﴾ [الفرقان: 2] والقرآن شيء من الأشياء وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب الحوادث التي ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره، فإن دلائل الحدوث في نفسه ظاهرة وهي شاهدة بخلقه ولو كان غير مخلوق لكان قديما، ولو كان قديما لكان مشاركا لله في صفة القدم، ولو شاركه في صفة القدم لتعدد القدماء ... ولو كان متكلمًا كخلقه لزم ما يلزم لخلقه من اللسان التي هي آلة الكلام ولزم له اشدق وفم يخرج منه الكلام وهذا باطل عقلا ثم وصفه الله تعالى بأنه حادث في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ [الأنبياء: 2]، ووصفه بأنه منزل من اللوح وكان حالا فيه والتنزيل صفة الحدوث، وكونه حالا في اللوح، فاللوح حادث ولا يحل في الحادث إلا حادث عقلا وبدئية، وهذه الصفات كلها تعطي معنى الحدوث، ووصفه بأنها آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وصدورهم حادثة والحوادث في الحادث حادث قطعاً، لأن القديم منزّه عن الحوادث فالله عز وجل لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى³.

والناظر في آراء الإباضية الاعتقادية وعلى رأسها مفهوم التوحيد ونفي الرؤية والقول بخلق القرآن يدرك أن التأويل هو الأصل المنهجي الذي انبنت عليه رؤيتهم إلى تلك المسائل

¹ الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، الحق الدامغ، مطابع النهضة 1409هـ، ص 84-85، د. عبد الحليم رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب، ص 70-71.

² عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي، الجزائر: موقف للنشر، 2013م، ج 1، ص 146.

³ سالم بن حمود، الحقيقة والمجاز وما بعدها: نقلا عن التأويل الكلامي عند الإباضية، ص 27، ص 120.

واختلفوا في تخليد الفساق في النار، فقالت المعتزلة والخوارج بتخليدهم وإن من دخل النار لا يخرج منها¹ محتجين في ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: 14] فاتفقت الإباضية مع أصول الخوارج في مسألة تخليد مرتكب الكبيرة في النار حال عدم توبته من ذنبه قبل أن يموت، وقد اختلفوا في تسميته²، قال السفاريني: "فقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبيرة"³، وأن شفاعاة النبي لا تكون لمن مات وهو مصر على الكبائر، لأن أهل الكبائر عندهم يستحق على الله عذابهم ودخولهم النار، فشفاعة النبي محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين ولا شفاعاة لغيره من الأشقياء⁴، قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]، فمن قال إن الشفاعاة من النبي لجميع المذنبين يقال له: إن الشفاعاة من النبي لا تكون للمذنب الغوي ولا ينالها المجرم الشقي، وإنما يدركها الصالح البر الراضي⁵ ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْضَى﴾ [الأنبياء: 28].

ويؤكد هذا الكلام ما جاء في مسند الربيع: "ليست الشفاعاة لأهل الكبائر من أمتي، لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار"⁶، وقالوا: "لو أن الشفاعاة تكون لأهل الكبائر - أصحاب المعاصي - لتقرب إليه المسلمون بالمعاصي والكبائر إلى الله ليضمنوا لأنفسهم الجنة الخالدة فهذا يتنافى مع عقائد الإسلام والمنطق السليم"⁷.

وتدين الإباضية بأن الله صادق في وعده ووعيده بخلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار⁸، كما تشير إلى ذلك نصائح سير علماء عمان: "فتيقظوا وتفهموا لدينكم فتعلموا ولا تكونوا كالذين منوا بأنفسهم الأمانى الكاذبة والروايات الضالة وادعوا لأنفسهم الجنة على المعاصي، وقد نهاهم الله عن ذلك، وقد زعموا أن أمة محمد ﷺ لا تخلد في النار

¹ الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 1990م، ص 167.

² الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 100، السفاريني، التبصير في الدين، ص 65، عفيفي عبد الرزاق، مذكرة التوحيد، ص 125، الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، ص 81، الجني مانع، الموسوعة الميسرة، ج 1، ص 60، محمد خميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، ص 170.

³ لوامع الأنوار، 12/1.

⁴ الشيخ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، القاهرة، دار التضامن للطباعة، ط 3، 1988م، ص 77.

⁵ سرحان بن سعيد الأركوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح: م. السليحي، عمان، وزارة التراث والثقافة، ط 2، 2013م، 328/2.

⁶ الربيع، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، ج 3، ص 279.

⁷ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، القاهرة، مرجع سابق، ص 80.

⁸ حسن محمد مهدي، الإباضية نشأتها وعقائدها، 2011م، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، ص 220.

وأنه يأتي وقت تصفق أبوابها ليس فيها موحد"¹، فهم يرون أن أهل الكبائر من المسلمين مخلصون في النار دائما أبدا، وترتب عن موقفهم حول الوعد والوعيد، أنهم نفوا فيه حدوث الشفاعة من الرسول ﷺ وأن شفاعته صلى الله عليه وسلم لن تكون لمن مات وهو مصر على الكبائر، وإنما هي للمؤمنين فقط دون العصاة والفسقة ومرتكبي الكبائر.

4. الأشعرية والإباضية ... اتفاق أم اختلاف؟ ... خلاف أم اختلاف؟

1.4. التوحيد:

الإباضية لا يختلفون عن الأشعرية في قضية التوحيد أو جملة التوحيد كما يطلقون عليها، فجمهور علمائهم يقولون بالتوحيد المطلق، وفق ثوابت الإسلام فالسالي في كتاب مشارق أنوار العقل يقول "وفي الشرع إفراد المعبود بالعبادة بمعنى وحدته، والتصديق بها ذاتا، وصفاتا وأفعالا، فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، ولا تقبل ذاته الانقسام، لا فعلا، ولا وهما، ولا فرضا"².

ويكمل صاحب مشارق الأنوار في سرد الصفات التي تتوجب على الإنسان للإقرار بالتوحيد، وهي من وجهة نظره، الإقرار بالعبودية لله، والتوكل، الخوف، الرجاء، التفويض، التسليم³.

وقال صاحب كتاب دراسات إسلامية في الأصول الإباضية "بعد أن جاء بجملة من الآراء للشيوخ الإباضية: "وقد بينت النصوص أن التوحيد في الإسلام يتمثل في قسمين: قسم يتعلق بقلب الإنسان ويسمى الإيمان والقسم الثاني يتمثل في الإقرار برسالة الرسول وتطبيق أركانها، والإيمان لا يكتمل إلا عن طريق توحيد الله عز وجل، وذلك أن الله تعالى الصفة العليا اللانهاية في الكمال، كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والرزق والإحياء والإماتة وأنه تعالى لا يماثله فيها ولا في ذاته مقدار من المقادير الموجودة في الدنيا ولا في الآخرة، وبينت النصوص أن الله عز وجل واحد لا جنس له ولا نوع له ولا فصل له ولا ند له ولا يشركه في الكمال المطلق اللانهاية أي شيء والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿١١﴾ ولا يشركه في الكمال المطلق اللانهاية أي شيء والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى: 11] والفكر الإباضي يرفض كل تيارات الإلحاد والتشبيه سواء أكانت مادية أو

¹ سلسلة عمان، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تح: س. كاشف، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1988م، ج 2، ص 92.

² عبد الله بن حميد السالي، مشارق أنوار العقل، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، ط 1، 1989م، ج 1، ص 303.

³ عبد الله بن حميد السالي، مشارق أنوار العقل، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، ط 1، 1989م، ج 1، ص 305-314.

دهرية أو يهودية أو مجوسية أو تجسيمية أو فيضية أو حلوليلة وأما الصفات المستحيلة عن الله عز وجل فهي الحدوث والعدم والفناء والموت والجهل والعجز والإكراه والصمم والعمى والتسوية بينه وبين خلقه في الذات والصفات¹.

ويقول الوارجلاني في معرض ذكره مواطن الخلاف بين الأشعرية والإباضية: أما الأشعرية لسنا مختلفين حول وحدانية الله وعدم حدوث المحدث وخصمنا جميعا الدهرية الضالة².

وبناء عليه فالإباضية تتفق مع الأشعرية وباقي المسلمين في رؤيتهم للتوحيد، فهم والأشعرية يقرون بوجود الخالق ووحدانيته، والإيمان بالله عز وجل وتنزيهه والتسليم بقضائه وقدره، والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

2.4. الصفات:

يتميز الإباضية عن الأشاعرة في ماهية الصفات كونهم يؤكدون على التنزيه المطلق لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] فخوفا من الفكر النصراني أسسوا لرؤية تنزيهية، فصفاته لذاته هي ذاته لا غيرها؛ خلافا للأشاعرة الذين يعتقدون بأن الصفات هي غير الذات وهي قديمة بقدمه تعالى، فيقول الإباضية أن الصفات لا قائمة بالذات ولا منفكة عنها وليس لها كينونة مستقلة عن الذات، "قال أبو عمار رحمه الله ردا على الأشاعرة في قولهم بالتعدد والتغاير والقيام بالذات ما نصه: فلما أثبتوا صفات الله معاني متغايرة متعددة، التمسوا لهذه المعاني المتعددة المتغايرة محلا يحلونه به، ومقاما يقيمونه فيه، فلم يجدوه لما كان الله في أزليته ليس معه شيء غيره، فلما لم يجدوا لما أقدموا عليه من القول، بأنها حالة الصانع، ﷻ، قائمة بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، إلى أن قال: وما عسى أن يرد عليهم، بأقبح من مقالهم، حيث زعموا، أن الله ﷻ، محل للأشياء، وأثبتوا أن ذاته، محل للمعاني، وضاهوا، بذلك قول اليعقوبية من النصاري، وليس المذكور من الصفات، بعضا منه تعالى، نعلم بذلك علما جازما، لأنها لو كانت بعضا منه للزم تبعض ذاته وتركيبها من أبعاض"³.

¹ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، دار النضامن، القاهرة، 1988م، ط3، ص 41-42.

² فراحات بن علي الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، غرداية-الجزائر، المطبعة العربية، جمعية التراث، ج 1، ص 95.

³ السالحي، مشارق أنوار العقل، مرجع سابق، ج 1، ص 352-353.

وقال أبو يعقوب الوارجلاني حين حاول حصر مواطن الخلاف بين الأشعرية والإباضية: أطلقوا -أي الأشعرية- على الباري صفات لها معان قديمة ليست هي ذات الله فأوجبوا التغير، وبمقتضى هذه المعاني كان الله موصوفاً بها فبالعلم كان عالماً وبالقدرة كان قادراً، فهي قائمة بالذات بينما عند الإباضية هي عين ذات الله سبحانه وليست زائدة عنه. وصفوا الله بالوجه واليدين والرأس والعينين، والقبضة والساق والاستواء والميل ... بينما ينزه الإباضية الله عن هذه الصفات والتشبيهات¹.

وقالوا: "المذهب أن صفات الله تعالى معان اعتبارية وصف بها الحق تعالى كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام، وأنها مغايرة للمعاني الحقيقية القائمة بخلقه الموصوفون بها، وأنها ليست زائدة على ذات الحق -تعالى الله- قائمة به كزيادة -نحو علم مخلوق به وقدرته على ذاته وقيامه بها بل هي في حق الله سبحانه عين ذاته بمعنى أن المقتضيات لتلك الصفات عند الإشارة يكفي عندنا في وجود ذاته ﷻ وتقدس كماله ولا حاجة إلى دعوة صفة أزلية قائمة بذاته تنكشف بها المعلومات مسماة بالعلم كما تقول الأشاعرة، وكاف في التأثير في جميع المقدورات ولا حاجة إلى دعوة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد الممكنات وإعدامه على وفق الإرادة المسماة بالقدرة كما يقولون وكاف في تخصيص جميع الكوائن الممكنة ببعض ما يجوز عليه"².

3.4. الإيمان:

يقول الشماخي: "وندين بطاعة الله كلها إيماناً ليس المعصية كلها كفراً" وبالتالي هم يتفقون مع أهل السنة أن الإيمان قول وعمل فقالوا الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان³، ويختلف الإباضية عن الخوارج بعدم اعتبارهم كل معصية كفراً وهذا موجود عند أهل السنة فقسّموا الكفر إلى عملي واعتقادي فالأول لا يخرج من الملة والثاني مخرج⁴، فهم يوافقون أهل السنة في أن الإيمان قول وعمل إلا أن أهل السنة يعتبرون العمل شرط كمال وهم يعتبرون العمل شرط صحة.

¹ فرحات بن علي الجعيري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث - غرداية - الجزائر، المطبعة العربية، ج 1، ص 95.

² ناصر بن سالم الرواحي، نفاثر الجوهر في علم الشرع الأزهر، مسقط - سلطنة عمان، 1400هـ، ط 1، ج 1، ص 31.

³ علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 260.

⁴ المصدر نفسه، ص 251.

والإباضية يرون أن الدين والإيمان والإسلام أسماء لشيء واحد وهو طاعة الله تعالى وتطبيق قواعد الإسلام تطبيقاً عملياً، لذا قيل في مقدمة التوحيد عند الإباضية إذا قيل لك: ما قواعد الإسلام؟ فقل أربعة: العلم والعمل والنية والورع فالإسلام لا يجوز إلا بهذه الأركان الأربعة ولا يجوز الفصل بين القول والعمل وهم يؤكدون أن الإيمان بدون تطبيق فرائض الإسلام لا معنى له، ويعتبرون أن الذي أتى بالقول وضيع العمل فاسقاً عاصياً موحداً ولا يخرج عن دائرة الإسلام وتجري عليه أحكام المسلمين¹.

وكذا مسألة تكفير مخالفهم لكونهم يكفرون مرتكبي الكبائر وبما أنهم لا يؤمنون بالعصمة لأحد غير الأنبياء فكل من تصدر منه الكبائر فهو كافر وبالتالي يؤمنون بخلودهم في النار رغم إسلامهم، وقيل الإباضية يطلقون الكفر ويقصدون به كفر النعمة وليس الكفر المخرج من الملة، بخلاف الأشعرية فموقفهم من مرتكب الكبيرة موقف وسط، حيث قالوا إن مرتكب الكبيرة حكمه إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه².

ومما نتج عن اعتقاد الإباضية بتكفيرهم لمرتكب الكبير طعنهم في الكثير من الصحابة وفي عدالتهم في مسألة التحكيم والخارجين على أمير المؤمنين المقاتلين ضده، ومرتكبي الكبائر عموماً، فبرئت الإباضية من الحكمين، ومن عينهما ومن رضي بحكمهما، ولم يصوبوا إلا من كان على شاكلتهم برفض التحكيم والخروج عن جماعة المسلمين، يقول الكندي: "ونبراً من عدو الله إبليس - لعنه الله - وأتباعه من الفراعنة وغيرهم من أئمة الكفر، وأتباع أهل الطاغوت من لدن آدم إلى يومنا هذا ... وبرئنا بعد النبي ﷺ من أهل القبلة الذين هم من أهل القبلة ... - وذكر - أبو موسى الأشعري، وجميع من رضي بحكومة الحكمين ... وأتباعهم وأشياعهم، ومن تولاهم على كفرهم وجورهم من أهل البدع وأصحاب الهوى"³.

وكذلك موقفهم من علي عليه السلام؛ وهو من أهم المسائل التي لا تتفق فيها الإباضية مع الأشاعرة وهي مسألة تخطئة أمير المؤمنين في قبوله بالتحكيم وتكفيره أو تفسيقه لأجل ذلك والعياذ بالله، مخالفين بذلك الأشاعرة الذين كان موقفهم ثابتاً اتجاه علي ابن أبي طالب عليه السلام بالترضي التام له وإثبات فضله ومكانته، كنهجهم فيمن سبقه من الخلفاء، وقد سردوا له من الفضائل والمآثر التي أوردها أصحاب السير زيادة عن غيره من الصحابة، ويعلل ذلك

¹ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، 1988م، ط3، ص52-53.

² ابن أبي العز الجنفي، العقيدة الطحاوية، ص268.

³ الكندي، بيان الشرع، ج3، ص277-293، جميل السعدي، قاموس الشريعة، ج1، ص297-302.

الحافظ ابن حجر فيقول: "وكان السبب في ذلك أنه تأخر -أي آخر الخلفاء الراشدين -، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينهم من الصحابة ردا على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك".¹

فوقفت الإباضية تجاه أمير المؤمنين علي عليه السلام موقفين: أولهما كان قبل قضية التحكيم فقد كانوا مع علي عليه السلام، وثانيهما لما رفضوا التحكيم انقلبوا عليه فكفروه وتبرؤوا منه وحكموا له بالنار، يذكر الكاتب مسعود مزهودي² قوله: "إن المصادر الإباضية وغير الإباضية تتفق وتجمع على قساوة ابن الأغلب مع الأسرى من الإباضية وينفرد النويري برواية تؤكد ذلك بقوله: "قال له بعض رجاله: ليدع الأمير بعض من أحب من مشائخهم، ويسأله عن اعتقاده فإذا سأله علم أن ذلك لله، فأحضر بعضهم فقال: "ما تقولون في علي ابن أبي طالب، فقال: نقول إنه كافر، في النار من لم يكفره، فقال إبراهيم: فجميعكم على الرأي؟ فقالوا: نعم"³، وبهذا يتبين موقف الإباضية الأخير من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

والفكر الأشعري سواء منه المتقدم أم المتأخر يعتبر قضية تكفير المسلمين من أخطر القضايا التي أصابت الأمة الإسلامية، والتي لا يزال تأثيرها ساريا حتى الآن، ولذلك فقد عظم على أئمة العقيدة الأشعرية قديما وحديثا تكفير المسلم بذنوب يرتكبه، بغض النظر عن نوع الذنب هل هو مما يُعد من كبائر الذنوب أو صغارها فمرتكمها جميعا يعتبرونه فاسقا وليس كافرا، بمعنى أنه يبقى مؤمنا داخلا في حظيرة الإسلام مادام جاهرا بالشهادة، وتثبت له جميع الحقوق التي يتمتع بها جميع المسلمين، إلا إن أنكر معلوما من الدين بالضرورة مجمعا عليه، فلا خلاف بين العلماء وكذا الأشاعرة في تكفيره⁴. وبهذا يتبين موقف الإباضية المخالف للأشاعرة في قضية تكفير مرتكب الكبيرة.

¹ ابن حجر، فتح الباري، ج 7، ص 71.

² مسعود مزهودي: أستاذ التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ، بجامعة باتنة، في الجزائر، اهتم بالكتابة عن الإباضية والدفاع عنهم، ومن مؤلفاته: جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، وجبل نفوسة من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط الدولة الرستمية (مسعود مزهودي)، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، ص 1، المكتبة الشاملة الإباضية، وجبل نفوسة وعلاقته بالرستمية، من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، لصالح معيوف مفتاح، ص 275، المكتبة الشاملة الإباضية.

³ مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، ج 1، ص 120.

⁴ ط. د/ عمر مسعودي، و أ. د/ عبد الكريم رقيق، الأصول العقدية للتعايش الأشعري الإباضي في الجزائر، (رجب 1441 هـ /مارس 2020م)، مجلد: 06، عدد: 01، ص 150.

4.4. الشفاعة:

الإباضية ممن ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر إن لم يتوبوا، فأثبتوا الشفاعة للمسلمين مستثنين منهم أهل الكبائر والعصاة، قال الإباضي صاحب كتاب أصول الدين: "إن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للمسلمين دون غيرهم من الكافرين أهل الكبائر¹، فهم يقصرون الشفاعة على المتقين من المكلفين وهم من جَانِبِ المحرمات وأدى الواجبات ولا شفاعة لغيرهم من العصاة الموحدين إن ماتوا بغير توبة"²، فمن يدخل النار لا يخرج منها على حسب ما أصلا.

بخلاف الأشعرية المقرين لشفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فيخرجون منها، فخالفوا في ذلك، جهلا منهم بصحة الأحاديث، وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضا وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ مرات. ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"³، ونقل عن الإمام الأجرى رحمه الله قوله: "اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها" إلى أن قال: "وليس هذا طريق المسلمين إنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق وقد لعب به الشيطان"، وقال أنس بن مالك ﷺ: "من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب"⁴.

5.4. نفي رؤية الله عزوجل:

أيضا من الأمور المهمة التي يلتزمها الإباضية خلافا للأشاعرة والثابتة في القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة؛ موافقين في ذلك المعتزلة والشيعة هو امتناع رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، فسيطر الغلو على فكرهم في قضية الرؤية، يقولون "ومن زعم أن الله يُرى في الدنيا أو تمكن رؤيته، أو رآه أحد من خلقه أو يُرى في الآخرة، مثل كذا وكذا، فمثله بشيء

¹ تبغورين الملشوطي، أصول الدين، 159/1.

² -عمرو بن خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م، ج1، ص179.

³ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الشفاعة (4739)، وجامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرفائق والورع: باب ما جاء في الشفاعة (2435)، والإمام أحمد (13222)، ابن أبي العز الحنفى، شرح الطحاوية، ص173.

⁴ عبد الله ابن مسعود السني، الإباضية في ميزان أهل السنة، ص19.

من خلقه، أو حد له مكانا دون مكان، أو وصفه بنهاية أطراف فهو مشرك، والشاك فيه مثله، ومن نفى عنه الشرك فهو كافر، والشاك فيه مثله¹ فنفوا الرؤية مطلقا، تنزيها للمولى عز وجل، وكفروا من قال بغيرها.

ولأنهم يعتبرون رؤية الله من الأشياء التي لا يتصور العقل صحة وجودها وجعلوها من المستحيلات، قالوا: "فليس لأحد من الخلق أن ينظر إليه جهرة لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الأبصار لا تدرك الأجسام المحدثه أو فيما يكون في معنى من معانيها، ولا يدرك ولا يرى بالأبصار إلا ما كان محدثا محدودا، والمحدود لا يكون إلا جسما أو هيئة لجسم، والجسم صنعة صانع، ولكل مصنوع له صانع، والصانع لا ينسبه المصنوع، فمن زعم أنه يرى الله جهرة فقد زعم أنه محيط بالله تعالى، لأن الأبصار إذا رأت شيئا فقد أحاطت به وبما رأت وعليه وقعت، إما على كله أو بعضه، فإن وقعت على كله فقد حصرته وحدته وأحاطت به، فإن وقعت على بعضه فقد أجزأته، وبعضته، والله تبارك وتعالى لا يجوز عليه ذلك"².

6.4. خلق القرآن الكريم:

يؤمن الإباضية بأن القرآن حادث غير قديم كمنهج العدلية في اعتماد العقل؛ فهي بذلك تخالف الأشعرية في مسألة من المسلمات عندها، فقد دل القرآن والسنة وأقوال السلف - الصحابة فمن دونهم - وإجماع أهل السنة على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ومن قال بخلقه كفر، قال الطحاوي رحمه الله: "وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: "سأصليه سقر" فلما أوعده الله بسقر لمن قال: "إن هذا قول البشر" علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر"³.

¹ تبغورين بن داوود المشلولي، أصول الدين، تج: د. ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ط1، 2005م، ص195.

² خميس بن سعيد بن علي الرستاق، منهج الطالبين بلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1993م، ط2، ج1، ص409-410.

³ الحنفي ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص108.

ويقول ابن تيمية: "وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم أنه قديم، لم يقل بواحد من القولين أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة ولا غيرهم، بل إن الآثار متواترة عنهم أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله"¹.

وعليه يمكن القول أن الاختلاف بين الأشعرية والإباضية لم يكن حول الأصول، بل تركز حول بعض تفاصيل وفروع بعض المسائل الجزئية، فبخلاف خلود الفاسق في النار وعدمه، وكونه كافرا كفر النعمة، وخلق القرآن وعدمه، والقدرة، يبدو أن الأعم الأغلب فيما غير ذلك من المسائل يتوافق الأشعرية والإباضية فيها؛ لأن منشأ الاختلاف بين المذهبين اختلاف في قراءة النصوص والذي هو بسبب اختلاف المدارك والعقول فإذا تعددت العقول تعددت الاجتهادات والرؤى؛ فهو اختلاف تنوع في قراءة وفهم النصوص وليس خلاف تضاد، رغم اعتبار الإباضية مرتكب الكبيرة، موحدا لكن ليس بمؤمن هو عندهم كافر كفر نعمة، لا كفر اعتقاد، إلا أنه يعامل معاملة المؤمن، وتجري عليه في الدنيا أحكام المؤمنين.

¹ ابن تيمية: تقي الدين أبي العباس أحمد الحراني، مجموع الفتاوى، كتاب القرآن كلام الله حقيقة، دار الكتب العلمية، مج. 7، ص 134.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة يمكن اختصار أهم نتائجها وأهم ما يوصى به من خلالها فيما يلي:

- يعتمد كل من المذهبين الأشعري والإباضي في أصولهما على الشرع والعقل.
- قاربت الإباضية كثيرا من أقوال المعتزلة والجهمية؛ في قضايا الاستواء، صفات الله تعالى، نفي رؤية الله تعالى يوم القيامة، خلق القرآن ...
- المسائل التي اختلفت فيها الأشعرية مع الإباضية كانت عن؛ خلود الفاسق في النار وعدمه، وكونه كافرا كفر النعمة، وخلق القرآن وعدمه، والقدرة.
- ذهب الإباضية إلى إبطال شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر وخالفوا بذلك الأشعرية؛ لتمسكهم بأصل الوعد والوعيد.
- يعتقد كل من المذهبين الأشعري والإباضي اعتقادا صحيحا في الإيمان بالله والتوحيد وأركان الإيمان والإسلام.
- تم التوصل من خلال هذه الدراسة إلى أن الاختلاف الذي بين الأشعرية والإباضية والذي هو في مسائل فرعية مجتهد فيها؛ اختلاف أقرب إلى التنوع من التضاد.
- والأولى من كل هذه الاختلافات، التذكير والمناداة بأبعاد العقيدة الإسلامية وتفعيلها على السلوك.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. إبراهيم الباجوري، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، راجعه: الأستاذ عبد الكريم الرفاعي، 1391هـ.
2. ابن أبي العز الحنفي، د. ت، شرح الطحاوية.
3. أحمد الخليلي، برهان الحق، د. ت.
4. أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، الحق الدامغ، سلطنة عمان، 1409هـ.
5. أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، الحق الدامغ، مطابع النهضة، 1409هـ.
6. أحمد بن سعيد الشماخي، مقدمة التوحيد وشروحها، ط2، ترجمها: العلامة أبو حفص عمر بن جُميع، لندن، دار الحكمة، 1436هـ-2016م.
7. أحمد محمود صبيح، في علم الكلام دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، الأشاعرة، دار النهضة العربية، د. ت.
8. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، د. ت.
9. أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، شرح المواقف، ط1، تح: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الرياض، دار العاصمة، 1412هـ.
10. أبو بكر بن الطيب البصري الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تح: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1986م.
11. بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، القاهرة، دار التضامن، 1988م.
12. بن إدريس مصطفى بن محمد بن صالح، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث، 2003م.
13. تقي الدين أبي العباس أحمد الحراني ابن تيمية، مجموع الفتاوى، كتاب القرآن كلام الله حقيقة، د. ت، دار الكتب العلمية.
14. جميل السعدي، قاموس الشريعة الحاوي لطرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان.
15. ابن حجر، د. ت، فتح الباري.
16. حسن محمد مهدي، الإباضية نشأتها وعقائدها، ط1، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 2011م.
17. حسين معتوق، الإنصاف في مسائل الخلاف، د. ت.
18. أبو حفص ابن جُميع، عقيدة التوحيد، ط3، تح: ع. بازين، غرداية: المطبعة العربية، 2003م.
19. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط1، 1417هـ-1997م.
20. خميس بن سعيد الشقصي الرستاق، منهج الطالبين وبلغ الراغبين، ط2، تحقيق: سالم الحارثي، عمان: وزارة التراث، 1413هـ.
21. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم الزنيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، د. ت.
22. الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، د. ت.
23. س. كاشف، سلسلة عمان، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1988م.

24. سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، ط2، سلطنة عمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 1438هـ-2017م.
25. سالم بن حمود السمانلي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، نشر وزارة التراث القومي بسلطنة عمان طبع سجل العرب بالقاهرة، 1400هـ-1980م.
26. سالم بن حمود السيابي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980م.
27. سرحان بن سعيد الأركوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ط2، تج: م. السليبي ح، عمان، وزارة التراث والثقافة، 2013م.
28. سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2005م.
29. سفر الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة، دار منابر الفكر، د. ت.
30. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر - جمادى الآخرة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، 1404هـ-1984م.
31. السمعاني، الأنساب، ط2، حققه: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، 1400هـ-1980م.
32. سيدة إسماعيل، سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس الهلوي؛ مطبوع ضمن كتاب (السير والجوابات) لعلماء وأئمة عمان، مسقط: وزارة التراث، د. ت.
33. الشماخي، كتاب السير، ط2، تحقيق: أ. السيابي، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1992م.
34. صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهب، بيروت: دار الجبل، 1986م.
35. صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالرستمية، من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، المكتبة الشاملة الإباضية.
36. أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقدة، مختصر معارج القبول، ط5، الرياض - السعودية، مكتبة الكوثر، 1418هـ.
37. أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، د. ت.
38. عبد الحليم محمد رجب، د. ت، الإباضية في مصر والمغرب، د. ت.
39. عبد الحميد علي عز العرب، كتاب علم التوحيد عند خالص المتكلمين، ط1، دار المعارج، 1987م.
40. عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، د. ت.
41. عبد القادر محمد الحسين، إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري، ط1، دار المشرق للكتاب، 2010م.
42. عبد الله السني بن مسعود، الإباضية في ميزان أهل السنة، د. ت.
43. عبد الله بن حميد السالحي، مشارق أنوار العقل، ط1، تج: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، 1989م.
44. ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، نشر كليات دار الكتب العربي، 1979م.
45. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، الإبانة، ط2، القاهرة - دار الكتاب، 1987م.
46. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدمه: حموده غرابة، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، 1995م.

47. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ت.
48. علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: م. الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، 1990م.
49. علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ت.
50. علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط2، سلطنة عمان، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، 1993م.
51. علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتابات المقالات في القديم والحديث، غرداية، مكتبة الضامري، 1987م.
52. علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ب. الشيخ، غرداية: جمعية التراث، د. ت.
53. علي يحيى معمر، تح: أحمد بن سعود السيبي، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ط3، د. ت.
54. عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي، الجزائر: موفم للنشر، 2013م.
55. عمر سليمان عبد الله الأشقر، "معتقد أبي الحسن الأشعري ومنهجه"، دار النفائس للنشر والتوزيع، د. ت.
56. عمرو بن خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م.
57. عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط3، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1994م.
58. الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، د. ت.
59. فرحات بن علي الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث - غرداية - الجزائر، المطبعة العربية، د. ت.
60. قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان بن محمد العامري الشماخي، رسالة القول المتين في الرد على المخالفين، ط1، مصر، مطبعة مجلة المنار الإسلامية، 1324هـ.
61. مانع الجني، الموسوعة الميسرة، د. ت.
62. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة-مصر، دار الفكر العربي، د. ت.
63. محمد السيد الجليند، أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر، جامعة الأزهر نشر كليات دار العلوم، د. ت.
64. محمد بن إبراهيم الكندي، بيان الشرع، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1404هـ-1984م.
65. محمد بن أحمد السفاريني، د. ت، لوايح الأنوار، 1983م.
66. أبي محمد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط5، تح: ع. هارون، القاهرة، دار المعارف، 1982م.
67. محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993م.
68. محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1387هـ-1968م.
69. محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، د. ت.
70. مسعود المزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، المكتبة الشاملة الإباضية، د. ت.

71. مسلم بن سالم الوهبي، الفكر العقدي عند الإباضية، د. ت.
72. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط8، الدار المصرية اللبنانية، 1989م.
73. أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، 1403هـ-1983م.
74. المشوطي بن داود تبغورين، متن صغير مطبوع ضمن كتاب أصول الدين أو الأصول العشرة للإباضية، تحقيق: ونيس عامر، تونس، 2002م.
75. أبي منصور عبد القاهر بن ظاهر التليجي البغدادي، أصول الدين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
76. ناصر بن سالم الرواحي، نثائر الجوهر في علم الشرع الأزهر، مسقط - سلطنة عمان، 1400هـ، ط1.

• الأطروحات

1. محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصميعة، رسالة دكتوراه مطبوعة، 1416هـ-1996م.
2. نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالحي، بهجة الأنوار، تحقيق: الغافري، علي بن سعيد بن مسعود، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، 1419هـ-1998م.

• المقالات

1. إيمان محمد محمد عمران، الأصول الفكرية للمذهب الإباضي التأسيس السياسي والرؤية الكلامية، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية)، المقالة 24، مج13، ع3، ص1611-1656، يوليو 2021م.
2. شهرة حبيبة، وحدة الأمة الإسلامية وإصلاحها بين الثابت والمتغير، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الأغواط، المجلد 09، العدد 02، ص203-227، ذو القعدة (جوان 2021م).
3. عبد الرحيم موفق، معالم وسطية الفكر العقدي بالغرب الإسلامي - ابن خمير السبتي نموذجاً - مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس - المملكة المغربية، ص10-38، (15-12-2019م).
4. عمر مسعودي، و أ. د/ عبد الكريم رقيق، الأصول العقدية للتعايش الأشعري الإباضي في الجزائر، الشهاب، مجلد: 06، عدد: 01، ص129-162، رجب 1441هـ/مارس 2020م.
5. عياش عدنان، جذور الإباضية في بلاد المغرب، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب-الأردن، مج4، ع (02)، ص253-281، 2007م.
6. فريدة بوتمجت، التواصل العقدي بين الإباضية والأشاعرة وآثاره الفكرية والاجتماعية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الأغواط، عدد 6، ص495-522، (15 جانفي 2016م).
7. يوسف بن علي بن عبد الله الطريف، عقيدة نفي الرؤية عند الإباضية "دراسة نقدية"، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، الملة 14، المجلد 33، العدد 1، ص549-592، يناير 2016م.